مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية) المجلد : ٣٣ ، العدد: ١، الجزء: أ ، السنة : ٠٨ ، ص٧٨-٩٢

تحققات الفعل في القرآن الكريم

د٠ أحمد رسن
جامعة البصرة – كلية الآداب – قسم اللغة العربية

الخلاصة

رصد الباحث ظاهرة (تحققات الفعل في القرآن الكريم) في مبحثين فوجدها بارزة في حالات ثلاث هي : التحقق المطابق للفعل المطلوب أنجازه في الواقع الخارجي ، والتحقق المغاير للفعل ، وأستحالة التحقق ٠ وبين دقة الأستعمال اللغوي في أبراز تلك الحالات أذ يتجلى الربط المحكم بين الصياغة اللغوية والمحتوى الفكري في صور التحقق بأستعمال الصياغة نفسها ، وتعمل الصياغة المختلفة ومتعلقات الجملة على أظهار صورة التحقق بأستعما الصياغة نفسها ، وتعمل الصياغة المختلفة ومتعلقات الجملة على أظهار صورة التحقق المغاير كما أن القرائن اللغوية مثل أدوات النفي وغياب صياغة الأنجاز تؤكد حالة أستحالة تحقق الفعل في بعض السياقات القرآنية ٠ وقد أشار البحث الى بعض السمات الأسلوبية المرتبطة بهذه الظاهرة مثل الحذف الذي يشكل ملمحا" أسلوبيا" ساعده على سرعة تحقق الفعل فضلا" عن أن النص القصصي في القرآن الكريم عمل على أيجاد أمرين في الوقت نفسه هما : الفن التعبيري لخلق حالة التأثير عند المتلقي وتحقيق الفعل المتقدم على المشهد القصصي ٠ وكشف البحث أنماط التحقق التعبيرية فكانت على أربعة أشكال هي : الجملة والمثل القرآني والمشهد القرآني والقصة ٠٠٠ وقد أوحت هذه الظاهرة بالمشروع القرآني القائم على أساس الدعوة الآلهيه الى أيجاد منظومة فكرية قابلة للتطبيق في الواقع الخارجي ٠

المبحث الأول : تحققات الفعل وسياقاته القرآنية .

يرتبط القرآن بالواقع الخارجي ارتباطاً يصل إلى مرتبة التطابق معه ، فـ ((يصبح القرآن هو الدال اللغوي والتعبير اللفظي ٠٠٠عن الوجود بكل مراتبه ومستوياته فهو موازٍ للوجود وللإنسان في آنٍ ٠٠٠)) [١] ٠

وهذا التطابق لا يعني أن النص القرآني أنتجته الثقافة البشرية كما يرى بعضهم [٢] ٠ فهذه الرؤية مرفوضة ؛ لأن القرآن مرتبط بمبدعه المطلق – تعالى – ويعبر عن كمالاته وقد تشكل بفضلها ٠

ولابدّ من أن ((طبيعة الموقف القرآني الذي يستهدف التغيير وطبيعة الأهداف والغايات التي يرمي القرآن إلى تحقيقها قد تفرض هذه المراعاة للظروف حيث تحدد الغاية والهدف طبيعة الأسلوب الذي يجب سلوكه

للوصول إليها ٠٠٠ لأن الهدف والغاية ليسا شيئين منفصلين عن الرسالة ليكون تأثيرهما عليها تأثيراً مفروضاً من الخارج))[٣] ٠

ومنْ يتابع حركة تحقق الأفعال في القرآن تظهر أمامه هذه الرؤية واضحة ؛ لأن المبدع ينشيء خطابه عن الواقع الذي يحبه ، ما يجعل النص ((يتفرد ٠٠٠ بإمكانات فذة على مستوى صنع الحياة ودفعها إلى الأمام)) [٤] إنه يهدف إلى صنع نسخ متعددة لذاته لتتجلى في الأمة وفي الفرد على الدوام ما يعني أنه يؤسس نظام الاستنساخ ليحقق حيويته وخلوده عن طريق بناء الشخصية القرآنية والمجتمع القرآني منذ نزوله إلى آخر لحظة في هذه النشأة ٠

لذلك يبدو أن المشروع الأكبر للنص القرآني هو إنجاز صورته الكلية – وليس الجزئيات – على مسرح الحياة بعد أن كانت منطوية في نسيجه ، ولعل (ظاهرة تحققات الفعل) وسيلة موضوعية وفنية من وسائل تشييد ذلك المشروع ، وقد رصد البحث صور هذه الظاهرة القرآنية في ثلاثة محاور :-

المحور الأول : التحقق المطابق :

يظهر في سياقات فعلية متعددة تكشف حالة الاتحاد بين الفعل المطلوب (المشروع) وبين تحققه ، فتوجد نسخة (طبق الأصل) يتطابق فيها المحتوى الفكري والصياغة اللغوية معاً في صورة التحقق الفعلي التام ، وهو ما يتضح في الآيات الآتية :

(وإذْ قُلنَا للملائكةِ اسجدُوا لآدمَ فَسَجَدوا) [٥]

(إذْ قالَ لهُ ربُّه أسلمْ قالَ أسلمتُ لربِّ العالمينَ) [٦]

(ربَّنا إنَّنا سَمِعنا مُناديا يُنادي للإيمانِ أنْ آمنوا بربِّكم فآمنّا) [٧]

تبين هذه الآيات :-

١- إن أفعال الأمر (اسجدوا – أسلِم – آمنوا) تمثل المشروع القرآني في ثلاثة أبعاد ، هي : (السجود لآدم – عليه السلام – والإسلام – والإيمان) ٠

٢- إن أفعال (سجدوا – أسلمت – آمنا) تمثل التحقق والإنجاز في الواقع ٠

٣- يوجد تطابق بين كل فعل وتحققه في المادة اللغوية والمضمون ٠

٤- سرعة التحقق واتصاله بالفعل المطلوب ٠

ويبدع النص القرآني في تقديم ظاهرة التحقق بصياغة لغوية مختلفة عن صياغة الأفعال المطلوبة ولكنها تبقى محيطة بالهدف والفكرة ؛ لأن الصياغات كلها تنتج من حقل معرفي واحد إلا أن المبدع يلحظ السياقات المتنوعة ، فيوزع عناصر خطابه في مراتبها التي تحقق الإعجاز الفني ، وتتجلى هذه الصورة اللغوية في الآيات الآتية :

(وزكريا إذ نادى ربّه ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خيرُ الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ٠٠) [٨]

(٠٠ فهبْ لي من لدنكَ وليّاً ٠٠٠ يا زكريا إنّا نبشرُك بغلامٍ اسمه يحيى ٠٠) [٩] ٠

يلحظ التنوع في التعبير إذ إن الدعاء في الآية الأولى كان بأسلوب النهي (لا تذرني فرداً) ويمكن أن يشتق من مادته اللغوية تركيباً يحقق الدعاء فيكون (لا أذرك فرداً) ولكنّ الدعاء كان يستبطن فكرة أخرى وهي (هبْ لي) الواردة في الآية الثانية ، وقد كشفت عن الدعاء المنطوي في ظاهر النص جملة (وهبنا له) وهي نفسها تمثل التحقق المطابق للفعل المطلوب ٠

كما أن الجملة (نبُشرُك) تمثل صورة التحقق التام للفعل (هبْ) في الآية الثانية وإن جاءت على صورة البشارة ؛ لأننا لا نتوقع أن الله – تعالى – لا ينجزها في الواقع الخارجي فهي منجزة حتماً وإن جاء التعبير بالفعل (نبشرك) ٠

وقال تعالى : (فإذا قَضيتُم مناسِكَكُم فاذكروا اللهَ كذكرِكُم آباءَكُم أو أشدَّ ذكراً فَمِنَ الناسِ مَنْ يَقولُ ربَّنا آتِنا في الدنيا وما لَهُ في الآخِرةِ مِنْ خلاقٍ ومِنْهُم مَنْ يَقولُ ربَّنا آتِنا في الدنيا حَسنَةً وفي الآخِرةِ حَسنَةً وقِنا عَذابَ النارِ)[١٠] ٠

يدعو النص إلى خلق حالة الدعاء في الأمة (فاذكروا الله) ونشر الثقافة الإلهية وترسيخها في الحياة بديلاً عن ظاهرة الفخر بالآباء والتعصب للقبيلة والنسب (ذكركم آباءكم) ٠ وتتضح صورتان في الواقع تحققان الذكر بوساطة الفعل (يقول) ينشطر بهما النص إلى مشهدين : مشهد أصحاب الدنيا وهم ينجزون الذكر في بعد واحد يرتبط بالدنيا (يقول ربنا آتنا في الدنيا) ؛ لذلك يؤشر النص إلى حالة التقصير في إنجاز الفعل بقوله (وما له في الآخرة من خلاق) ثم يأتي المشهد الثاني ليحقق الصورة المطلوبة بنحو كلي ، وهي صورة الذكر الدائم في النشأتين (الدنيا والآخرة) الذي يمارسه المؤمنون حقاً ٠

ويتحرك النص حركة سريعة يطوي بها المكان ويمحو الزمان ليصل إلى نتائج مشروعه وثمار إنجازاته فهو يفاجئنا بعوالم جديدة بسبب سرعة تجلّي الإنجاز في ساحة النص وكأنه لم يتح الفرصة للمتلقي ليرى صورة التحقق المطلوب ، لذلك تأتي القصة حاملة وسائل الإقناع بالصور المنجزة حتى يتقبل المتلقي التشكيل الجديد دون أن يجد في نفسه أي إثارة تبعثه إلى الاعتراض على النص أو الرفض لنتائجه ومنجزاته ٠

إن المتلقي قد آمن – منذ القراءة الأولى – بالرؤية الكلية للنص بسبب قدراته الإبداعية على التأثير إلى درجة الخضوع والاستسلام ٠ وهكذا يتحرك النص محققاً أفعاله على مستوى الفن القصصي وإن طوى عملية التحقق في مكوناته اللغوية ، وهذا أمر يحقق بفضله دوافعه وأهدافه بوساطة جماله الفني في وقت واحد ٠

(فَقُلْنا اضْرِبُوه ببعضِها كذلكَ يحيي اللهُ الموتى) [١١]

(وأوحَينا إلى مُوسى ٠٠٠ أنْ اضربْ بِعَصاكَ الحَجَرَ فانْبَجَسَتْ مِنهُ اثنَتا عَشرَةَ عَيناً)[١٢]

(وخُذْ بِيَدِكَ ضِغثاً فاضرِبْ بِهِ ولا تَحْنَثْ إنّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعمَ العَبْدُ إنَّه أوّابٌ)[١٣]

(واضرِبْ لَهُم مَثَلاً رَجُلَين جعَلنا لأحَدِهُما جنَّتين مِنْ أعناب ٠٠) [١٤]

إن الآيات تهدف إلى تحقيق عملية (الضرب) بأنواعه في الواقع بوساطة فعل الأمر (اضرب) غير أن النص ينقل سياقه إلى تصوير مشاهد توحي بإنجازات الفعل على نحو يشد المتلقي إليها ، وهي بطبيعتها مؤثرة جداً مثل إحياء الموتى / وانبجاس عيون الماء / وتجلي حقيقة النبي أيوب – عليه السلام – وقصة الرجلين ٠٠ إذ يذهل المتلقي عما جرى من ردود أفعال تجاه الفعل (اضرب) ويبقى متابعاً المشاهد الجديدة وهو على يقين بأن كل شيء قد تحقق في وقته ٠

وقد تصل سرعة التحقق إلى حدٍّ يفوق تصورات العقل ؛ لأنها تمثل تجلياً من تجليات قدرة المبدع على تحقيق أوامره وأهدافه فضلاً عن سرعة إنشاء خطابه المعجز والمعبر في لحظة الظهور اللغوي عن لحظة الظهور الواقعي لمضمونه ومحتواه ٠

قال تعالى : (وقِيلَ يا أرضُ ابلَعِي ماءَكِ ويا سَماءُ أقلِعي وغِيضَ المَاءُ وقُضِيَ الأمرُ واستَوَتْ عَلى الجُودي وقِيلَ بُعداً للقَومِ الظالِمينَ) [١٥] ٠

يؤشر النص – هنا – إلى حالة التوازي بين خلق النص وبين تحقق الفعل الإلهي ٠ إن سرعة الإيجاد في الخارج تدفع إلى سرعة خلق النص بوساطة اللغة الموجزة إذ ((إن الله عزّ سلطانه لما أراد أن يظهر فائدة الخطاب اللغوي ، وهو أنّا نريد أن نردَّ ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتدّ ، وأن نقطع طوفان الماء فانقطع ، وأن يغيض الماء النازل من السماء فغاض ، وأن نقضي أمر فرعون وهو إنجاز ما كنا وعدنا من إغراق قومه فقضي ٠٠٠ وشبّه تكوين المراد بالأمر الحتم النافذ في تكوين المقصود إرادة لتصوير اقتداره الباهر))[١٦]

ومن جماليات القرآن الأسلوبية – في سياق تحققات الفعل– أنه يوجد حالة فريدة تتمثل في الارتباط القوي بين النص كونه فعلاً كلامياً فنياً وبين الرؤية الفعلية التي يباشر إنجازها في جانبي الفن القصصي والواقع الذي يشرع في بيان تفصيلاته في نسيجه ، فيكون النص القصصي هو عملية التحقق للفعل المتقدم عليه كونه مفتتحاً أو تمهيداً لإنتاج النص، فتتشكل الصورة التعبيرية فنّاً ومرجعاً واقعياً على النحو الآتي :

١– الفن = المفتتحات + النص القصصي ٠

٢– بنية التحقق = الفعل المتقدم + التحقق ٠

وهذه اللوحة الإنجازية في بعديها : الفني والواقعي تبينها الآيات الآتية :

- (نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسنَ القَصَصِ ٠٠٠ إذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبيهِ يا أَبَتِ إِني رأيتُ أَحدَ عَشرَ كَوكبا ً٠٠٠) [١٧] ٠
- (واذكُرْ في الكِتابِ إبراهِيمَ إِنَّهُ كان صِديقاً نَبياً ٠٠٠) [١٨] ٠
- (واتلُ عَليهِم نَبأَ نوحٍ إذ قَالَ لِقومِهِ ٠٠٠) [١٩] ٠
- (ونبِّئْهُم عَنْ ضَيفِ إبراهيم إذْ دَخَلُوا عَلَيهِ فَقالُوا سَلاماً قَال إِنّا مِنكُم وَجِلُونَ)[٢٠] ٠
- (وهلْ أَتاكَ حَديثُ مُوسى إذْ رأى ناراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امكُثوا ٠٠٠) [٢١] ٠

إن الأفعال (نقص / اذكرْ / اتلُ / نبئهم / أتاك) تؤدي وظيفتين في النص :

١- وظيفة فنية وهي التمهيد أو الافتتاح لإيجاد القصص ٠

٢- وظيفة إبلاغية تمثل هدف النص ٠

وكذلك القصص الواردة بعد هذه الأفعال تحقق وظيفتين :

١- وظيفة فنية هي الفن القصصي في النص ليكون وسيلة لإيجاد الوظيفة الثانية ٠

٢- وظيفة إنجاز الفعل المتقدم عليها ٠

وهذه الظاهرة الأسلوبية المرتبطة ببنية التحقق القصصية تجعل النص المتحقق (القصة) يمثل حالة الاكتمال والتحقق الفعلي لإنتاج النص بعد أن كان فكرة ألمح إليها المبدع في تلك المفتتحات (الأفعال) إن هذه البنية الانجازية تتحرك في القصة وتدخل في أجزائها وتفصيلها لتشكل عنصراً فنياً وهو نمو الأحداث والأفكار والموضوعات [٢٢] وتحققها في وقت واحد ليكتمل النص ويكشف عن واقعه على النحو الآتي : -

الفعل	التحقق
(فَيَكِيدوا لَكَ كَيداً) [٢٣]	(اقْتُلوا يُوسُفَ أَو اطرَحُوهُ أَرضاً) [٢٤]
(أَرسِلْهُ مَعَنا غَداً) [٢٥]	(فَلَما ذَهَبُوا بِهِ) [٢٦] ٠
(لِتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِم) [٢٧]	(قَال هَلْ عَلِمتُم ما فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخيه ٠٠)[٢٨] ٠
(ولِنُعَلِّمَهُ مِنْ تأويلِ الأَحاديثِ)[٢٩]	(ذلِكَ مِما عَلَّمَني ربي) [٣٠]

وهكذا تتوالى تحققات الأفعال في جميع مراحل القصة حتى النهاية ٠

المحور الثاني : التحقق المغاير ٠

يعرض القرآن عملية الإيجاد ويتابعها أينما وقعت ٠ فنرى مجموعة من الأفعال تنجز في سياقات متعددة وهي من مادة لغوية واحدة ، ولكنها تتقيد بقيود تصرف الدلالة المشتركة إلى أخرى مغايرة ، فيصبح الإنجاز مختلفاً عمّا دعا إليه النص ، كما في الآيات الآتية :

– **قال تعالى :** (وإذا قِيلَ لَهُم آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤمِنُ بِما أُنزِلَ عَلَينا ويَكفُرونَ بِما وراءَهُ وهُوَ الحَقُّ قُلْ فَلِمَ تَقتُلونَ أَنبياءَ اللهِ مِن قَبلُ إِن كُنتُم مؤمنينَ) (٣١) ٠

– (وإذا قِيلَ لَهم اتَّبِعُوا ما أَنزَلَ اللهُ قالوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجدْنا عليه آباءَنَا أَوَلَو كانَ الشَيطانُ يَدعُوهم إلى عَذابِ السَعيرِ) (٣٢) ٠

نجد في هذه الآيات الحالات الآتية :

١– حالة التطابق الظاهر : آمنوا = نؤمن ٠

اتبعوا = نتبع ٠

٢– حالة الاختلاف : بما أنزل الله ≠ بما أنزل علينا ٠

٣– حالة التقاطع : ما أنزل الله × ما وجدنا عليه آباءنا ٠

ويوظف النص هذه المخالفة السياقية في تصحيح الصورة المنجزة للفعل ، فيعرّي حقيقتها بما يناقضها في الواقع (يكفرون بما وراءه ٠٠٠ تقتلون أنبياء الله) عن طريق الحجة العقلية في الآية الأولى ويحذّر من النتيجة المترتبة على هذا التحقق المغاير في الآية الثانية ٠

ويظهر هذا التحقق في صياغة لغوية تختلف عن صياغة فعله المطلوب ما يعني أن النص يعبر عن حدوث فعل جديد يختلف كلياً عمّا أراده النص :

– قال تعالى : (وإذا قِيلَ لَهُم تَعالَوا إلى ما أَنزَلَ اللهُ وإلى الرَسُولِ رَأَيتَ المُنافِقينَ يَصدّونَ عَنكَ صُدوداً) (٣٣) ٠

– (وإذا قِيلَ لَهُم تَعالَوا يَستَغفِرُ لَكُم رَسولُ اللهِ لَوَّوا رؤوسَهم ورأَيتَهُم يَصدّونَ وهُم مُستَكبِرونَ ٠٠٠) (٣٤) ٠

– (ويا قومِ هذِهِ ناقَةُ اللهِ لَكُم آيَةً فَذَروها تَأكُل في أَرضِ اللهِ ولا تَمسّوها بسوءٍ فَيأخُذَكُم عَذابٌ قَريبٌ فَعَقَروها فَقالَ تَمَتَّعُوا في داركُم ثلاثةَ أيامٍ ذلكَ وَعْدٌ غَيرُ مَكذوبٍ) (٣٥) ٠

إن المغايرة كانت في الشكل والمضمون فحصلت حالة التقاطع على النحو الآتي :

تعالَوا × يصدّون ٠

تعالَوا × لوَّوا رؤوسَهم ٠٠٠ يصدّون ٠

ذَروها ٠٠ ولا تمسّوها بسوءٍ × عقروها ٠

يلحظ أن النص يقوم بإظهار التهديد من أجل تغيير هذه المغايرة ليتحرك الإنجاز نحو هدف النص الأساس كما في المقطع الثالث ، ولكن النص بعد أن لم يتحقق مشروعه اتجه إلى تصوير فكرة القضاء على حالة التقاطع ومحوها من الواقع وإن بقيت في داخل النص ؛ لأن المبدع الإلهي يشكل رؤيته الخاصة فنياً ويوجدها واقعاً على الرغم من ظهور رؤية بشرية مؤقتة ٠

وتبدو صور إلغاء الرؤية القرآنية عندما تطرح مشروعاً لكي يتحقق في الخارج عن طريق إنجاز ما يغايرها أو أن يرفضها – أساساً – ويتضح الأمر في هذه الآيات الآتية :

– (الذينَ قالَ لَهم الناسُ إنَّ الناسَ قَدْ جَمَعوا لَكم فاخشوهم فَزادَهم إيماناً وقالوا حسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ) (٣٦) ٠

– (وقالُوا لولا نزّلَ عَليهِ آيَةٌ مِنْ ربّهِ قُل إنَّ اللهَ قادرٌ عَلى أنْ يُنَزّلَ آيَةً ولكنَ أكثرَ الناسِ لا يَعلَمونَ) (٣٧) ٠

– (وقالُوا لولا نُزّلَ هذا القرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القريَتَينِ عَظِيمٍ ٠ أهُمْ يَقسِمونَ رحمةَ ربّكَ نَحنُ قَسَمنا بينهم مَعيشَتَهُم في الحياةِ الدُنيا ورفعنا بَعضَهُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجات ٠٠٠) (٣٨) ٠

إن هذه الآيات ترفض الأطروحات غير الواقعية ؛ لأنها منبثقة من عقول متأثرة بالأوهام والاعتبارات ٠ وتحاول أن تصدها عن أن تمد أثرها في الواقع النفسي ؛ لأنه الهدف الأساس للنص الذي يريد أن يصيره نسخة مطابقة له ومرآة صافية تُظهر صورة القرآن كاملة بوساطة التخلق بأخلاقه والإيمان بعقائده وأفكاره ، وتظل الأطروحات البشرية نسخاً مشوشة أو قاصرة عن أن توجد لها تحققاً في الخارج يبقى خالداً فبين لنا القرآن عجز الإنسان عن تقديم أطروحة صالحة ، وأكد ذلك عندما كشف فشله في إنجاز نسخ قدمها النص القرآني نفسه أمام ذلك الإنسان وهذا يتجلى في المحور الثالث من البحث ٠

المحور الثالث : ٠

أستحالة التحقق ٠

وهذه الظاهرة ترتبط بالبنية الفعلية المتحققة من جهة القدرة التي يتمتع بها النص القرآني في كشف ضعف الإنسان وعجزه عن إيجاد أبنية فكرية تصمد أمام حاجة الإنسان نفسه ٠٠٠ فضلاً عن أن تكون حيّة وفعالة في جميع النشآت الوجودية ٠ هاهو ذا القرآن يبيّن حالة القصور والفقر في الإنسان التي تقف سداً قوياً بين طموحاته وإرادته وقدراته وبين تحققها في الواقع فيختفي المشروع الفكري في ظهور صورة العجز التي يستحيل بسببها إنجاز المشروع المقترح ٠ وهذه الاستحالة تبرز في الآيات الآتية :

– (وإنْ كُنتُم في رَيبٍ مِمّا نَزّلنا على عَبدِنا فأتوا بِسورةٍ مِنْ مِثلِهِ وادعُوا شهداءَكم مِنْ دونِ اللهِ إنْ كُنتُم صادقينَ ٠ فإنْ لَمْ تَفعَلوا ولَنْ تَفعَلوا فاتّقوا النارَ ٠٠) (٣٩) ٠

– (قُل يا أهلَ الكِتابِ إنْ زَعَمتُم أنّكُم أولياءَ للهِ مِنْ دونِ الناسِ فَتَمَنّوا المَوتَ إنْ كُنتُم صادقينَ ٠ ولا يَتَمَنّونَه أبداً ٠٠٠) (٤٠)

– (ونادوا يا مالكُ ليقضِ علينا ربُّك قالَ إنّكم ماكثونَ) (٤١) ٠

-﴿ ... قالَ إبراهيمُ فإنَّ اللهَ يأتي بالشمسِ مِنَ المشرقِ فإتِ بها من المَغربِ فَبَهُتَ الذي كفرَ﴾[٤٢]

يلحظ أن الآيات وظّفت الأداة اللغوية (لن ، لا) والظرف (أبداً) في إثبات امتناع تحقق الأفعال الواردة فيها فضلاً عن الفكرة المعجزة الواضحة في الآيتين الأخيرتين ٠

وهكذا أوجد القرآن نظاماً خاصاً به يقوم على أساس الاستنساخ أي إيجاد نسخ مكررة لذاته في الواقع الخارجي كي يبقى النص حياً على الدوام ، نظراً لما يتصف به من كمالات تعبر عن كمالات مبدعه المطلق ٠

ولا تعدّ الأمثال الخالية من الفعل (اضرب) تحققات - في هذا البحث- لأنها وردت في سياقات خبرية لم يذكر قبلها فعل الأمر المتقدم فخلا السياق من بنية الإنجاز التي رصدها ٠

٣- المشهد : يمثّل المشهد شكلاً من أشكال التحقق إذا ما سُبق بفعل طلب إذ ينقل لنا صورة حيّة بوساطة الحوار المعبر عن مجموعة من المطالب والإجابات الخاصة بها ، ويلحظ أن بعض المشاهد القرآنية يتركب من مجموعة من التحققات الفرعية إذ يتطور الحوار والجدل بوساطة ارتباط تلك التحققات بعضها ببعض حتى يكتمل المشهد كما في قوله تعالى : ((قالَ فأت به إنْ كُنْتَ منْ الصادقينَ *فألقى عَصاهُ فإذا هيَ ثُعبانٌ مُبينٌ * ونَزَعَ يَدَهُ فإذا هيَ بَيضاءُ للنَاظَرينَ * قالَ للملإ حَولَهُ إنَّ هَذا لَساحرٌ عَليمٌ * يُريدُ أنْ يُخرجَكُم منْ أرْضكُم بسحْره فَماذا تَأمُرونَ * قالُوا أرجهْ وأخَاهُ وابعَثْ في المَدائن حاشرينَ * يأتُوكَ بكُل سَحَّار عَليم * فَجُمعَ السَحَرَةُ لميقات يَوم مَعْلوم * وَقيل للناسَ هَلْ أنْتُم مُجتَمعُونَ * لَعَلَنا نَتَّبعُ السَحَرَةَ إنْ كَانُوا هُمُ الغالبينَ * فَلَما جَاءَ السَحَرَةُ قالُوا لفرعَونَ أئنَّ لَنا لأجَرا إنْ كُنا نَحنُ الغالبينَ* قال نَعَم وإنَّكُمْ إذاً لَمنْ المُقربينَ * قال لَهُم مُوسى ألقُوا ما أنْتُم مُلقُونَ * فألقوا حبالَهُم وعَصيَهُم وقَالُوا بعزة فرعونَ إنا لَنحنُ الغالبونَ)) (٥٠)

ويتشكل المشهد بهذه الصورة المتنامية :

الفعل
- قال فأت به ← فألقى عصاه ٠٠٠ ونزع يده
- قالوا ٠٠٠ ابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحّار عليم ← فجمع السحرة
- قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً ← قال نعم ٠٠٠
- قال لهم موسى ألقوا ← فألقوا حبالهم وعصيهم

وقد يقوم القرآن الكريم بتصوير الأحداث وإنشاء المشهد بوساطة مجموعة من الأفعال المنجزة التي تؤلف جميعها المشروع المطلوب مثل (بناء الردم) الذي قام به ذو القرنين في قوله تعالى : ((قَالُوا ياذا القَرنَين إنَّ يأجُوجَ ومأجوجَ مُفسدونَ في الأرض فَهل نَجعَلُ لَكَ خَرجا عَلى أنْ تَجعلَ بَينَنا وبَينَهُمُ سَدَا * قَالَ ما مَكَّني فيه رَبي خَيرٌ فأعينوني بقوة أجعَل بَينَكُم وبَينَهُمُ رَدما * أتوني زُبَرَ الحديد حتى إذا ساوى بينَ الصَدَفين قال انفَخُوا حتى إذاً جَعَلَهُ نارا قَالَ أتوني أفرغ عَليه قَطرا * فما اسطاعُوا أنْ يُظهروهُ وما استطَاعُوا لهُ نَقبا)) (٥١)

يتضح أن المشهد قد تكوّن استجابة لطلب القوم (تجعل سداً) وقد كان الإنجاز في قول ذي القرنين (أجعل ردماً) وقد تم هذا الأمر بوساطة الأفعال الآتية :

أعينوني بقوة -------- >أتوني زبر الحديد ------> ساوى بين الصدفين --------> انفخوا ---- جعله ناراً ------- > أتوني أفرغ عليه قطرا

٣- القصة : وهي أكبر صورة شكلية عبّرت عن تحقق الفعل في القرآن الكريم ، ولا يخفى أن القصة تتضمن تحققات جزئية في مقاطع متعددة في قصة يوسف (ع) وتبرز في القصة بعض الملامح الأسلوبية ، ولعل أبرزها تنوع المفتتحات والبدايات فتارة يكون طلباً قال تعالى : ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا)) (٥٢) وتارة يكون استفهاماً قال تعالى : ((وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى)) (٥٣)

ويبرز ملمح أسلوبي آخر وهو أن التحقق يتقدم على الفعل المطلوب إيجاده كما في الآيات الآتية :

- (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ)(٥٤) إن الآية بصدد البحث عن الشخص الذي يتولى كفالة مريم (ع) إلا أن الأمرَ قد حسم عند الله تعالى في آية سابقة (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ... وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) (٥٥)

-

- (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ... فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ) (٥٦)

إن الفعل المطلوب (فأووا إلى الكهف) وقد حققه الفتية (أصحاب الكهف) في بداية القصة في قوله تعالى : (إذ أوى الفتية إلى الكهف) (٥٧)

الخاتمة

يتضح مما تقدم أن النص القرآني يتصف بقدرة أسلوبية على إيصال أهدافه إلى المتلقي بوساطة تنوع أشكال التعبير إبتداءً من الجملة التي تنقل الفكرة المنجزة والهدف المتحقق كي يندفع المتلقي إلى امتثال أوامر مولاه ويتحلى بالعبودية .

وتتسع دائرة التعبير لتملأ مساحة واسعة من القرآن بواسطة الامثال والمشاهد والقصص لتقدم للقارىء واقعا" حقيقيا" تتولى فيه التحققات المعبرة عن الإرادة الإلهية لاسيما في قصص الأنبياء (ع)

مايخلق في نفسه صورة الإنسان الكامل والقدوة الصالحة التي يهدف الخطاب القرآني الى أبرازها في الخطاب نفسه فضلا" عن دعوته الدائمة الى أيجاد كمالاته في الواقع ٠

الهوامش

١- فهم القرآن – جواد علي كسار : ٤٠٢ ٠

٢- ينظر : مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن – د٠ نصر حامد أبو زيد : (٢٤-٢٥) ٠

٣- المدرسة القرآنية – محمد باقر الصدر : ٢٥٦ ٠

٤- النص القرآني من الجملة إلى العالم – د٠ وليد منير : ١٢٩ ٠

٥- البقرة : ٣٤ ، وينظر : الأعراف : ١١ ، والإسراء :٦١ ، والكهف : ٥٠ ، وطه : ١١٦ ٠

٦- البقرة : ١٣١ ٠

٧- آل عمران : ١٩٣ ٠

٨- الأنبياء : (٨٩- ٩٠) ٠

٩- مريم : (٥ ، ٧) ٠

١٠- البقرة : (٢٠٠- ٢٠١) ٠

١١- البقرة : ٧٣ ٠

١٢- الأعراف : ١٦٠ ، وينظر : الشعراء : ٦٣ ٠

١٣- ص : ٤٤ ٠

١٤- الكهف : ٣٢ ٠

١٥- هود : ٤٤ ٠

١٦- كتاب الطراز – يحيى العلوي : ٢٢٩/٣ ٠

١٧ – يوسف : (٣- ٤) ٠

١٨- مريم : ٤١ ٠

١٩- المائدة : ٢٧ ٠ ورد الفعل (نتلو) في سورة القصص : ٣ ٠

٢٠- يونس : ٧١ ٠

٢١- الحجر : (٥١- ٥٢) ٠

٢٢- ينظر : الإسلام والأدب : – د٠ محمود البستاني : (٢٣٢-٢٣٣) وينظر : التفسير البنائي – د٠ محمود البستاني : ٢/ (٢٦٨ – ٢٦٩) ٠

٢٣- يوسف : ٥ ٠

٢٤- يوسف : ٩ ٠

٢٥- يوسف : ١٢ ٠

٢٦- يوسف : ١٥ ٠

٢٧- يوسف : ١٥ ٠

٢٨- يوسف : ٨٩ ٠

٢٩- يوسف : ٢١ ٠

٣٠- يوسف : ٣٧ ٠

٣١- البقرة : ٩١ ٠

٣٢- لقمان : ٢١ ٠

٣٣- النساء : ٦١ ٠

٣٤- المنافقون : (٥-٦) ٠

٣٥- هود : (٦٤ – ٦٥) ٠

٣٦- آل عمران : ١٧٣ ٠

٣٧- : الأنعام : ٣٧ ٠

٣٨- الزخرف : (٣١ – ٣٢) ٠

٣٩- البقرة : (٢٣ – ٢٤) ٠

٤٠- الجمعة : (٦ – ٧) ٠

٤١- الزخرف : ٧٧ ٠

٤٢- البقرة : ٢٥٨ ٠

٤٣ – يونس : (٢٢ – ٢٣) وينظر : الأعراف : (١٣٤ – ١٣٥) . انجز الفعل (كشفتَ) في قوله (فلما كشفنا) .

٤٤- الشعراء : (٢٢١ – ٢٢٢) .

٤٥- مريم : ١٠ .

٤٦ – المائدة : (١١٤ – ١١٥) .

٤٧ – سبأ : (٢٩ – ٣٠) .

٤٨ – الصورة الفنية في المثل القرآني – دراسة نقدية وبلاغية – د. محمد حسين الصغير :٨٥ .

٤٩- الكهف : ٤٥ ، وينظر : الكهف (٣٢- ٤٤) ، وينظر : يس (١٣ – ٢٨) .

٥٠- الشعراء : (٣١- ٤٤) ، وينظر :الأعراف : (١٠٦ – ١١٧) .

٥١- الكهف (٩٤-٩٦) ، وينظر : هود (٣٧-٣٨) المشهد يصور صناعة السفينة من قبل نوح (ع) امتثالاً لأمر الله تعالى .

٥٢- الأعراف : ١٧٥-١٧٦ .

٥٣ – طه :٩ ، وينظر : الفيل : ١ .

٥٤- آل عمران : ٤٤ .

٥٥- آل عمران : ٣٧ .

٥٦ – الكهف : ١٦ .

٥٧- الكهف : ١٠ .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم ٠

٢- الإسلام والأدب – د٠ محمود البستاني – ط (١) – إيران – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م٠

٣- التفسير البنائي للقرآن الكريم – د٠ محمود البستاني – ط/ ١ إيران –١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ٠

٤- الصورة الفنية في المثل القرآني – دراسة نقدية وبلاغية – د. محمد حسين علي الصغير – دار الرشيد للنشر – بغداد –١٩٨١ .

٥- فهم القرآن – دراسة على ضوء المدرسة السلوكية – جواد علي كسار – ط /١ – إيران – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م ٠

٦- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – يحيى بن حمزة العلوي – دار الكتب العلمية – لبنان (د٠ت) ٠

٧- المدرسة القرآنية – محمد باقر الصدر – تحقيق لجنة التحقيق للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر (قدس سرّه) ط/٢ – إيران – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م ٠

٨- مفهوم النص ٠ دراسة في علوم القرآن – د٠ نصر حامد أبو زيد – المركز الثقافي العربي – ط/٤ – لبنان – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ٠

٩- النص القرآني من الجملة إلى العالم – د٠ وليد منير – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – ط/١ – القاهرة – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ٠

The Realizations of the Verb in the Holy Quran

Abstract

The researcher examines the phenomenon of verb realizations in the Holy Quran in two research strands and finds it prominent in three cases: the identical realization with the action required to be achieved in the external reality, the opposite realization of the action, and the impossibility of realization. The researcher shows the accuracy of the linguistic use in exposing these cases since the accurate connection between the linguistic form and the intellectual content appears in the images of the realization by the use of the same form. The different form and the sentence complements work to reveal the images of opposite realization. Moreover, such linguistic evidence as negative particles and the absence of the achievement form asserts the impossibility of verb realization in some Quranic contexts. The research also refers to such stylistic characteristics germane to this phenomenon as ellipsis which represents a stylistic feature that help hasten verb realization. In addition, the Quranic text works to achieve two goals at the same time, which are the aesthetic expression to create an effect on the receiver and verb realization antecedent of the narrative scene.

The research also reveals the patterns of the expressive realization, which falls into four forms: Quranic sentence, Quranic proverb, Quranic scene, and story…

This phenomenon inspires the Quranic project which is based on the divine call to find an intellectual system that can be applied to the external reality.